



الأحد 20 نوفمبر 2022 08:25 م

توافق اليوم الذكرى الـ 87 لاستشهاد الشيخ عز الدين القسام، الذي استشهد في العشرين من نوفمبر عام 1935، في أحراش يعبد قرب جنين، وهو يقاتل الاحتلال الإنجليزي لأرض فلسطين.

ميلاد القسام

ولد الشيخ المجاهد عز الدين القسام في محافظة "اللاذقية" في سورية سنة 1882م، وترعرع داخل مساجد وكتائب بلده "جبله" متلقيًا تعليمه الابتدائي والديني هناك.

لما آنس منه والده رغبة في العلم أرسله إلى الأزهر في مصر، وقد قضى هناك ثماني سنوات تتلمذ فيها على يد ثلة من الشيوخ، وتعلم العلوم الدينية والفقه والتفسير والحديث، ثم عاد بعد ذلك إلى مسقط رأسه بعد أن نال الإجازة العالمية الدالة على تضلعه في العلوم الإسلامية، ثم عدا فقيهاً في كل ما جمع من العلوم والمعارف.

مسيرة جهاد

بدأت مسيرة عز الدين القسام عند اشتعال الثورة ضد الفرنسيين بسوريا حيث شارك فيها، وقد حاولت السلطة العسكرية الفرنسية شراءه وإكرامه بتوليته القضاء، فرفض ذلك، وكان جزاؤه أن حكم عليه الديوان السوري العرفي بالإعدام.

وقاد عز الدين القسام مظاهرة أيدت مقاومة الليبيين للاحتلال الإيطالي، وجمع التبرعات من مال وسلاح لنجدة المجاهدين في طرابلس، وحكمت عليه فرنسا بالإعدام، ولاحقته إيطاليا بسبب دعمه لثورة عمر المختار.

100 عام في فلسطين

ثم أصبح مطاردًا من الطغاة ففرّ إلى فلسطين سنة 1921 ونشط القسام بين أهل "حيفا" يعلمهم القراءة والكتابة، ويحارب الأمية المتفشية بينهم، وذلك في مسجد الاستقلال في الحي القديم، وهو ما أكسبه تقديرًا واحترامًا وتأييدًا.

في سنة 1926 ترأس القسام جمعية الشبان المسلمين، وكان يدعو للجهاد ضدّ المستعمر البريطاني، واشتهر بين أهل حيفا بالورع الديني وأتته شيخ محمود السيرة في صدقه ووطنيته.

وكان يقول للناس في خطبه في جامع الاستقلال: "إن كنتم مؤمنين فلا يقعدن أحد منكم بلا سلاح وجهاد".

عمل عز الدين القسام على إنارة عقول الناس كبارًا وصغارًا، وحثهم على المقاومة وكسر شوكة العدو وتغذية نفوس الأهالي بحب الجهاد وتحرير أرضهم من العدو الأساسي وهو الانتداب البريطاني.

بدأ الشيخ القسام بتأسيس الخلايا السريّة وتدريبها وتجنيدتها من أجل الكفاح، وبعد أن نال اليهود "وعد بلفور" رأى بعض الشباب المستعجلين من أبناء تنظيمه القيام بثورة؛ في حين استحسّن عز الدين التريث، وليث سنين يعدّ للثورة الكبرى، حيث قام بتعليم أبناء القرى وتدريبهم على السلاح جيّدًا، وتلقى تعزيزًا مباشرًا وقويًا بالمال والسلاح من أمير الأردن الخزاعي.

في 15 نوفمبر 1935 أطلق الشيخ المجاهد عز الدين القسام الشرارة الأولى للثورة الفلسطينية الكبرى، وبعد أن اكتشفت القوات البريطانية أمره حاصرته في منطقة "يعبد" في جنين. وطلبت من عز الدين ورفاقه الاستسلام؛ إلا أنه ردّ قائلاً: "إننا لا نستسلم، إننا في موقف الجهاد في سبيل الله". واندلعت معركة غير متكافئة بين قوات الاحتلال ورجال المقاومة، قدّم فيها المجاهدون الفلسطينيون صورًا رائعة من الكفاح والنضال، وسقط الأبطال واحدًا تلو الآخر دفاعًا عن فلسطين.

وُعرف الحراك بـ "ثورة القسام" وأسفرت المواجهة عن استشهاد عز الدين القسام في 20/11/1935 كان لاستشهاد القسام دوي كبير في البلاد، وتعاطف الشعب مع فكرة الشهادة في سبيل الله والوطن. لم يسع عز الدين القسام إلى سلطة أو كرسي، وإنما كان يسعى إلى أن ينفذ مشروعه على أكمل وجه، وأن يؤدي رسالته في هذه الدنيا، وهو الذي وُجد بحوزته مصحفًا وأربعة عشر جنيهاً ومسدسًا كبيرًا، ونشرت الصحف مقالات كثيرة بعناوين مختلفة بارزة منها: "معركة هائلة بين عصبة الثائرين والبوليس"، "حادث مريع هزّ فلسطين من أقصاها إلى أقصاها".

الفكرة لا تموت

أدى استشهاد عز الدين القسام إلى إشعال فتيل الثورة الفلسطينية الكبرى سنة 1935 وإضراب الستة أشهر، والذي لم يتوقف إلا بتدخل الزعماء العرب.

كما دام اسم القسام متلألأ في فضاء العالم، فقد تخلد اسمه من خلال كتائب الشهيد عز الدين القسام والتي أذقت الاحتلال الويلات، ولا تزال، على مدار سنوات الاحتلال.

<https://www.ikhwanonline.com/article/256317>